الدراسات السابقة والمرتبطة بموضوع البحث

تُمثِّل **الدراسات السابقة** أحد الأجزاء المُهمَّة من خطة البحث العلمي، وهي تُعدُّ بمثابة الجزء الثاني المُتعلِّق بالإطار النظري لمنهج البحث العلمي المُقدَّم، وترتبط به بصورة مباشرة ووثيقة، وهي تُمثِّل أرضية غنية بالمعلومات لمن لديه الرَّغبة في التعرُّف على كل جوانب المشكلة أو الفرضية موضوع البحث.

كان المنهج التقليدي في تعامل الباحث العلمي مع خطة البحث يتمثل في عناصر البحث التالية: (اسم الباحث العلمي، وعنوان البحث، ومنهج الدراسة، وأدوات البحث العلمي، والفرضيات، ونتائج البحث، ومدى اتفاق منهج البحث أو اختلافه مع ما يقوم به الباحث من دراسات)، وفي الوقت الحالي تجاوز البحث العلمي تلك الطريقة النمطية، وانطلق نحو آفاق جديدة تهدف إلى استخدام **الدراسات السابقة** على اعتبارها جزءًا أساسيًّا من خطة البحث.

تعريف الدِّراسات السابقة:

يمكن تعريف **الدراسات السابقة** بأنها: "الأبحاث السابقة التي يرجع إليها الباحث؛ من أجل الحصول على البيانات والمعلومات المتعلقة بموضوع البحث، ومن ثم القيام بدراستها بشكل جيد، ثم تحليلها بالطرق العلمية والمنهجية المستخدمة في البحث العلمي، وبعد ذلك تحديد مدى التشابه والاختلاف فيما بينها وبين فرضيات البحث العلمي المقدم".

يُعدُّ تلخيص **الدراسات السابقة** على درجة كبيرة من الأهمية عند القيام بإجراء البحث العلمي، نظرًا لقيام الباحث العلمي بالتنقيب عن استفسارات لأسئلة مُتعدِّدة تعلق بذهنه، لذا يتطلَّب الأمر الاستعانة بالدِّراسات والمؤلفات العلمية السابقة ذات الصلة بموضوع البحث، وتمنح الدراسات السابقة الباحث العلمي كل التفاصيل المتعلقة بفرضية البحث، نظرًا لقيامه بجمع المعلومات من أكثر من مرجع أو مصدر، ويساعده ذلك على الوقوف على التفاصيل الدقيقة لموضوع البحث، وتمثل الدراسات السابقة مظهرًا أخلاقيًّا بالنسبة للباحث العلمي من جانبين، الأول يتمثَّل في قيامة ببذل الجُهد والتعرُّف على كل ما يخصُّ موضوع الدراسة، والثاني يتمثَّل في نسب المجهودات إلى أهلها عن طريق الإشارة إلى مؤلفي المصادر والدِّراسات السابقة، وقد تُمثل تلك الدراسات مفتاحًا لجميع المشكلات التي افترضها الباحث العلمي، في حالة ما إذا توافقت أو دعمت مع ما هو مطروح في منهج البحث العلمي.

أهمية كتابة الدراسات السابقة في البحث العلمي:

· تُساعد الدراسات السابقة في توضيح الأسس النظرية عن موضوع البحث العلمي المُراد تنفيذه من قبل الباحث.

· تُوفِّر الدراسات السابقة الوقت والجُهد على الباحث العلمي؛ من خلال اختيار الإطار لموضوع خطة البحث العلمي.

· تُعتبر الدِّراسات السابقة جرس إنذار بالنسبة للباحث العلمي عند القيام بكتابة البحث؛ من خلال تحديد الطريقة التي من شأنها أن تُجنِّب الباحث الوقوع في الأخطاء التي ارتكبها الباحثون السابقون.

· تعرض الدراسات السابقة الأسلوب المنهجي السليم لموضوع البحث العلمي بشكل عام.

· تمنح الدراسات السابقة الباحث العلمي طريقة مثالية؛ من أجل استخلاص التوصيات والنتائج والمقترحات الأخرى المتعلقة بالبحث.

· تُساعد الدراسات والمؤلفات والأبحاث السابقة الباحث العلمي في تحديد المراجع الخاصة بالبحث العلمي وتُسهّل عملية كتابتها.

· للدراسات السابقة دور مهم في عملية المقارنة التي يجريها الباحث العلمي فيما بين البحث الذي يقدمه وبين تلك الدراسات والمصادر.

طريقة التعليق على الدراسات السابقة ونقدها:

يجب على كل باحث أن يكون لديه البصيرة والحكمة المناسبان؛ من أجل التعليق على الدراسات السابقة، ونقدها نقدًا بناءً من خلال الأدلَّة العلمية الدامغة، وكذلك التحلي بالموضوعية والبُعد عن أي أيديولوجيات داخلية أو تحيُّز شخصي، وتُعد عملية نقد الدراسات السابقة من المتطلبات الرئيسة عند كتابة الأبحاث العلمية، بل إنها أحد المقاييس التي تمنح الباحث الدرجة العلمية المرتفعة في حالة ظهور قدرته على النقد من خلال البحث المقدم، وسوف نتعرَّف على بعض الأفكار والمهمات التي تُساهم في عملية التعليق والتحليل والنقد بالنسبة للدراسات السابقة، والبعض منها قد يتطلب خبرات شخصية، والبعض الآخر يعتمد على الأسس المنهجية.

أولًا/ طريقة نقد الدراسات السابقة:

عند القيام بالاطلاع على إحدى الدراسات السابقة، يجب التركيز على خمس من النقاط الرئيسية في تلك الدراسة كما يلي:

النقد المُتعلق بالمحتوى:

وفي تلك الحالة يجب أن يُبدي الباحث وجهة نظره في كون المحتوى الخاص بالدراسات السابقة لا يتضمَّن الإطار الفني التي يجب أن يُتبع، وفي تلك الحالة تفقد الدراسة ميزة الشمولية، وتبتعد عن الموضوعية في طريقة تفنيدها.

النقد المتعلق بالمنهجية:

وهنا يجب على الباحث أن يوضح الباحث السلبيات والايجابيات في المنهج العلمي المُتَّبع في الدراسات السابقة، وليس شرطًا أن تكون الدراسة السابقة سلبية في مجملها، أو إيجابية في مُجملها، حيث إن ذلك يخضع للرأي الشخصي للباحث، والذي يُعدُّ تعبيرًا عن وجهة النظر الشخصية الخاصة به، وعليه أن يعرض ذلك وفقًا للأدلَّة المُقنعة، والتي تختلف من باحث لآخر.

النقد المُتعلق بعيِّنة الدراسة:

يجب أن يذكر الباحث أي قصور في العيِّنة محل الدراسة، والتي قد تكون غير فعَّالة في الحُكم على الدراسات السابقة، وكان في الإمكان زيادة حجم العيِّنة؛ لتوضيح أمر من الأمور المتعلقة بمشكلة البحث، كذلك قد تكون العيِّنة غير ممثلة بالطريقة الإحصائية المناسبة... إلخ.

النقد المتعلق بالمصداقية:

يجب على الباحث أن يتحقَّق من مدى مصداقية الدراسات السابقة، وتختلف طريقة التأكد من ذلك وفقًا للمنهج الذي تتبعه الدراسة السابقة، فهناك المنهج الوصفي والتجريبي والتاريخي، وعلى سبيل المثال يتميَّز المنهج التاريخي بالمصداقية عن غيره، ويجب أن يُفنِّد الباحث ذلك الأمر، ويتبع المعايير الدقيقة في الحكم على ذلك، ومن أجل الحكم

على مدى المصداقية؛ يجب أن يكون الباحث مُلمًّا بكل مناهج البحث العلمي ومزاياها وعيوبها، وفرضيات ونظريات البحث التي تتناسب معها تلك المناهج.

النقد المتعلق بالنتائج:

من الممكن ألا يتفق الباحث العلمي مع النتائج الموضحة بالدراسات السابقة؛ نظرًا لوجود خطأ في طريقة تحليل وعرض البيانات، وفي سبيل ذلك يجب أن يقوم بتوضيح المقارنة بين النتائج التي توصل إليها، وما هو مطروح في أبحاث سابقيه، وبيان مدى الموضوعية في كل منها، وينبغي على الباحث أن يتطرق فقط للدراسات السابقة ذات الصلة بموضع البحث، ويجب أن يكون الارتباط جليًّا وواضحًا للقارئ، فلا معنى للإشارة إلى أبحاث أو دراسات سابقة لا تمس مشكلة البحث من قريب أو بعيد.

ثانيًا/ طريقة التعليق على الدراسات السابقة:

عند شروع الباحث العلمي في كتابة الدراسات السابقة فمن المُفضَّل ألا يكتفي بعملية تلخيصها، حيث إن الهدف الرئيسي هو اكتشاف الفجوات فيما بين بحثه وبين الدراسات السابقة، وذلك الأمر على درجة كبيرة من الأهمية بالنسبة لتطوير أفكار البحث عبر فصوله وأقسامه.

قبل مرحلة جميع المعلومات والبيانات:

قبل قيام الباحث بجمع المعلومات والبيانات الخاصة بخطة البحث، ينبغي أن يُرسِّخ الباحث في ذهنه ضرورة تحقيق الترابط مع الدراسات السابقة، وما يمكن أن يترتب على ذلك من نتائج عن طريق عملية الدراسة والتحليل، ومن ثم طريقة معالجة التشابه أو التناقض إن وُجدت.

بعد مرحلة جمع المعلومات والبيانات:

بعد القيام بجمع المعلومات أو البيانات على اختلاف نمطها سواء نوعية أو كمية، تأتي مرحلة توضيح الفروق الجوهرية بين ما قام بالتوصل إليها والدراسات السابقة، كذلك توضيح ما ينطوي عليه البحث المُقدَّم من إفادة للبشرية بوجه عام، ويجب أن يظهر ذلك أيضًا بشكل واضح في تفنيد وتحليل النتائج النهائية.

يجب على الباحث التركيز على عملية التعليل، ولا يكتفي بالمقارنة فقط فيما بينه وبين سابقيه، فما الفائدة من ذلك؟!، ويمثل التعليل أو التفسير المتعلق بالنتائج المتشابهة أو المتناقضة ضرورة يجب أن ترتبط بعملية المقارنة.

الدراسات النظرية

هي تلك الدراسات التي من خلالها يستطيع الباحث أن يستقرى جميع النظريات والبيانات والموضوعات التي لها علاقة بموضوع بحثه والتي لا يمكن الاستغناء عنها أن كانت هذه الدراسات مطابقة تماما لمجريات الأهداف والفروض أو المخالفة لها . فعلى الباحث أن يفتش عن العناوين من المصادر العلمية والأساسية والثانوية التي تتلاءم مع بحثه ويستشهد بها والأخير أن تكون بغض هذا الدراسات غير مطابقة أو تختلف معها . فالباحث الجيد هو الذي يختار عناوين وموضوعات بشكل يضمن له دعم البحث أو يضمن تحقيق فروضة التي تتقاطع مع هذا الدراسات .

أن الدراسات النظرية التي يضعها الباحث في هذا المجال هي ليست مادة لحشو الدراسة النظرية وإنما مادة علمية يستطيع الباحث والقارئ أن يستفيد منها ، إذ أن هذا الدراسات سوف بتناقشها الباحث من خلال النتائج التي تمخض عنها بحيث يطابق أو يخالف هذا الدراسات .

ويمكن تلخيص فائدة مراجعة الدراسات النظرية (المرتبطة) على النحو التالي :

تدل الباحث على المشكلات التي تم انجازها من قبل أو المشكلات التي مازالت في حاجة الى دراسة أو بحث وما الذي ينبغي عليه انجازه .

توضح للباحث مختلف الجوانب التي تكون البحوث المرتبطة قد عالجتها بالنسبة لمشكلة البحث الحالية أو توضيح الباحث عما أذا كانت مشكلة البحث قد عولجت بقدر كافي من قبل، والأمر الذي قد لا يستوعب أجراء مزيد من البحث لهذه المشكلة .

تعين الباحث على استخدام أساليب أو طرائف جديدة لمعالجة مشكلة البحث .

تقدم الباحث مصادر متنوعة وجديدة البيانات ، جهوداً بحثية قيمة لم يسبق للباحث التعرف عليها .

تفيذ الباحث في كتابة رؤية بحثية ذات منظور تاريخي لمعرفة كيف كانت المعالجات السابقة للمشكلات المرتبطة بالبحث .

تساعد الباحث على رسم خطة البحث وتحديد الإجراءات ووسائل القياس المناسبة ، وتفادي الأخطاء التي حدثت في الدراسات السابقة ولاستفادة من خبرات الباحثين السابقين، ألأمر الذي قد يثير لدى الباحث أفكاره الجديدة لمعالجة موضوع بحثه .

تعاون الباحث في تشكيل فروض بحثه.

تساعد الباحث على تقويم الجهد المبذول في بحثه بالمقارنة مع البحوث السابقة الأخرى .

تقيد الباحث عند مناقشته لنتائج بحثه في ضوء نتائج الدراسات المرتبطة السابقة ، وما إذا كان قد اتفقت أو تعارضت مع نتائج هذا الدراسات (السابقة) وبذلك يمكن التوصيل إلى معروف أسباب الاتفاق أو التعارض.

تسهم في تنمية المهارات البحثية بصفه عامة لدى الباحث .

حجم الدراسات المرتبطة:

يجد الباحثون المبتدئون صعوبة في تحديد حجم الدراسات المرتبطة التي ينبغي عليهم دراستها، وقد فهموا أن كل ما يرتبط بالمشكلة بصورة أو بأخرى ينبغي دراسة تحليله . وكثير ما نجد إن الباحث المبتدئ يحاول استخدام كل دراسة بعثر عليها . وقد يكون ذلك على حساب عامل الجودة .فلبس المهم هو كثرت الدراسات المرتبطة إنما المهم هوة نوعية ودرجة جودتها . كما إن المهم أيضاً هوة ارتباط بصورة معينة بمشكلة البحث التي يروي الباحث لدراستها ففي بعض الأحيان قد توجد كثير من الدراسات والبحوث التي تعرض الدراسة أو بحث مشكلات معينة ، وهذه الدراسات والبحوث تتضمن مراجع ووثائق وافية لهذه المشكلات ، فعلى سبيل المثال تناولت العديد من البحوث والدراسات مشكلة اللياقة البدنية سواء لدى التلاميذ أو التلميذات ، أو طلاب وطالبات الجامعة أو الممارسين والممارسات ولمختلف الأنشطة الرياضية ،أو لاعبي ولاعبات والمستويات الرياضية العالية . فإذا كان الباحث يحاول دراسة مشاكل اللياقة البدنية لدى تلاميذ المرحلة الإعدادية ، فقد يكون من المناسب عدم التعرض لدراسة اللياقة البدنية للاعب المستويات العالية في كرة القدم مثلاً .وإنما يجب التركز على الدراسات والبحوث التي تناولت الدراسة والبحث مشكلة اللياقة البدينة لدى التلاميذ .

وعلى العكس من ذلك قد توجد بعض الدراسات والبحوث في مجالات حديثة تناولت قلة من الدراسات ، فإذا كانت المشكلة تتضمن مجالاً من هذا المجالات فقد يتطلب الأمر لدراسة (التوجه) لدراسة أو أكثر من هذه الدراسات التي قد ترتبط بجانب معين من جوانب المشكلة لمعاونة الباحث أطار عمل منطقي للدراسة ومساعدته في وضع فروض بحثية .

وقد يبدوا أن هناك تصوراً لدى الباحثين المبتدئين لتتلخص في أن قيمة المشكلة التي يقومون بدراستها ترتبط بوجود القدر الكافي من الدراسات المرتبطة بالمشكلة ، وهذا التصور خاطئ ، لان هناك العديد من المجالات الجديدة والهامة للبحوث العلمية ولا تزال تعاني من الندرة الواضحة للإيجاب في مجالها .

ومن ناجية أخرى ، فأن وفرت البحوث والدراسات في مجال مشكلة معينة لا تعني عدم وجود حاجة لبحوث أو دراسات في هذا المجال ، بل على العكس من ذلك قد تؤدي المزيد من الدراسات إلى تطور دائم لهذا المجال وإضافة المزيد من الحقائق والعلمية التي يمكن الإفادة منها في التطبيق العلمي .

شروط اختيار الدراسات النظرية:

التأكد من علاقة المعلومات وارتباطها بموضوع البحث.

الدقة في اقتباسها وتدوينها.

الاستفادة منها في دعم نتائج البحث.

القراءة تعلم الكتابة ، كلمات زادت قراءة الباحث يعطي أدلة عن نشاطه وقدرته على التعبير السلمي .

تنظيم الموضوعات حسب أهميتها.

التوازن في الاختبار وعدم التحيز لدراسة دون أخرى ، وإنما التحليل والنقد.

جمع المعلومات المتنوعة والأفكار المتقاربة ووجهات النظر المختلفة لعرض الإيفاء بالدراسات النظرية .

أهمية الدراسات النظرية:

زيادة فهم واستيعاب الباحث في المواضيع التي لها علاقة بعملة ومشكلته .

تساعد الباحث في الاقتراب والتفتيش عن أفكار جديدة

يصبح بإمكان الباحث العمل باستقلالية .

تمد الباحث بإضافة معلومات وحقائق بحثية .

الأخطاء الشائعة التي يقع فيها الباحثون في الدراسات:

السرعة في جمع المعلومات وعدم التدقيق فيها.

الاعتماد على المصادر الثانوية .

التركيز على نتائج البحوث وعلى النقاط بعيدة الأهمية عن موضوع البحث

الاهتمام بمصادر بعيدة عن الموضوع وقرأت المعلومات في المقالات والجرائد ومباحث تربوية أخرى غير علمية وغير موثوقة .

الفشل في تحديد الدراسات النظرية وثيقة الصلة بالموضوع .

الخطأ في كتابة المصادر والاقتباس والهوامش .